

توسعات الحرم المكي عبر العصور

قال تعالى ” إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ” (آل عمران: آية 96)، إنه بيت الله الذي فرض الله إليه الحج لمن استطاع إليه سبيلاً. يقع **المسجد الحرام في قلب مكة المكرمة**، وتتوسطه الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين أينما كانوا، وشعائر الله الأخرى التي يقوم بها الناس في الحج والعمرة إنما هي في قلب الحرم المكي، أرض الله الحرام. وهذه نبذة عن توسعات الحرم المكي عبر العصور.

توسعات الحرم المكي عبر العصور

(1) عصر الرسول -ﷺ:-

أول ما يجب الحديث عنه في مسألة توسعات الحرم المكي عبر العصور، أنه بعد أن فتح الرسول -ﷺ- مكة أزال ما كان على **الكعبة من أصنام**، وكان يكسوها ويطيبها، ولكنه لم يقم بعمل تعديل على عمارة الكعبة وما حولها كما لم يرجع الكعبة إلى سابق عهدها في أيام سيدنا إبراهيم -عليه السلام- خشية من الفتنة؛ لأن قومه كانوا حديثي عهد بالإسلام، لكن كانت أهم الأحداث في عهد الرسول -ﷺ- هو توجيه القبلة بأمر من الله إلى المسجد الحرام يقول تعالى ” قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ” (البقرة: الآية 144).

(2) ظل المسجد الحرام على حاله طوال **خلافة أبي بكر الصديق** -رضي الله عنه- دون تغيير.

(3) **في عهد الخليفة عمر بن الخطاب** -رضي الله عنه- وفي العام السابع الهجري: استشعر مدى الحاجة لهذه التوسعة حين رأى الزيادات المظردة في عدد الحجاج الذين يفدون للظواف حول الكعبة المشرفة سنوياً، وعجز المطاف عن استيعاب تلك الزيادات، فقام بشراء البيوت المجاورة للمسجد، ووسّع بها ساحة المطاف وجعل لها أبواباً يدخل الحجاج والمعتصرون منها للظواف حول الكعبة المشرفة.

(4) **في زمن، عثمان بن عفان** -رضي الله عنه- كثّر الناس فوسع المسجد، وكانت هذه الزيادة سنة ست وعشرين للهجرة، كما بنى -رضي الله عنه- للمسجد أروقة؛ فكان **ذو النورين** أول من بنى أروقة للمسجد الحرام.

(5) **في عهد عبد الله بن الزبير** عام 64 هـ أجريت زيادة كبيرة على المسجد طالت جهاته الشرقية والجنوبية والشمالية، كما قام بسقف المسجد ودعمه بأعمدة من الرخام، وبذل أموالاً طائلةً في شراء بعض البيوت المحيطة به، التي ضمَّ أرضها لساحة المسجد، وقد بلغت التوسعة التي أجراها نحو 4050 مترًا مسطّحًا.

(6) **في عهد عبد الملك بن مروان** وتحديداً في سنة 75 هـ أجرى الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان عمارةً في المسجد الحرام دون أن يحدث أيّ زيادة في مساحته، لكنه قام برفع جدران الحرم، وسقفه بالسّاج، ووضع على رأس كلّ أسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب.

(7) **في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك** تم لأول مرة نقل أساطين الرخام (أعمدة الرخام) من مصر والشام إلى مكة على العجل، وزاد في مساحة المسجد الحرام من الجهة الشرقية رواقاً دائراً على حافته، وقد بلغت هذه التوسعة نحو 2300 متر مربع، وكان الوليد بن عبد الملك هو أول من آزر المسجد بالرخام من داخله، كما أهدى إلى الكعبة المشرفة هلالين وسريرا من ذهب.

(8) **في عهد الخليفة المنصور** زاد الخليفة في مساحة المسجد الحرام، وأصلح في عمارته، وقد تمثّلت هذه الزيادة في إقامة رواق واحد ينفذ على صحن المسجد الحرام، كما بنى الخليفة المنصور مئذنة في ركن المسجد الشمالي الغربي عُرفت باسم “مئذنة بني سهم”. أما عن شكلها فقد كان الجزء الأسفل مكعباً، أما الجزء العلوي فهو أسطواني يعلوه خوذة المئذنة، وبهذه الزيادة التي بلغت نحو 4700 متر مربع، التي انتهت عام 140 هـ؛ وبذلك تكون مساحة المسجد بلغت ضعف ما كانت عليه في المرحلة السابقة عنها.

(9) أعقب **الخليفة محمد المهدي العباسي** العمارة السابقة بعمارتين كبيرتين: الأولى جرت عام 160 هـ، وأكمل بها عمارة أبيه الخليفة أبو جعفر المنصور؛ حيث وسّع المسجد الحرام من الموضع الذي انتهى إليه والده في الجانب الغربي، كما وسّعه من أعلاه ومن الجانب اليماني. وقد بلغت هذه الزيادة 7950 متراً مسطّحاً. أما العمارة الثانية: فقد جرت بعد أن قدم المهدي للحج عام 164 هـ، وساءه أن يرى العمارة الأولى التي أمر بإجرائها لم تجعل المسجد مربعاً وتتوسطه **الكعبة** المشرفة، فأمر المهندسين بتدريك الأمر وإجراء التعديلات والتوسيعات اللازمة، واشترى الدور المجاورة، وأنفق أموالاً طائلة حتى تحقّق له ما أراد، وانتهت هذه العمارة في عهد ابنه موسى الهادي بعد أن توفاه الله. وقد بلغت هذه الزيادة نحو 2360 متراً مربعاً، وكان عدد الأعمدة وقتها أربعمئة وأربعة وثلاثين عموداً، وكان عدد الأبواب في المسجد أربعة وعشرين باباً، وأصبح للمسجد أربع مآذن في أركانه الأربعة.

(10) في عهد المعتضد بالله تم إضافة دار الندوة إلى المسجد الحرام ودُعّم هذا الجزء بأساطين وطاقات وأروقة مسقّفة بالساج المزخرف، وأوصلت بالمسجد الحرام عن طريق اثني عشر بابا فُتحت في حائط المسجد. وبلغت هذه الزيادة 1250 مترًا مربعًا.

(11) في عام 306 هـ أجرى المقتدر بالله العباسي زيادة أخرى بلغت 850 مترًا مربعًا؛ حيث كانت هناك ساحة تقع بين بايين من أبواب المسجد الحرام: أحدهما يسمّى باب "الخيّاطين" أو باب "الحزوة"، والثاني يسمّى باب "جمع"، وكانت أمام هذه الساحة داران لزيدة أمّ الخليفة الأمين. وقد ضمت تلك المساحات جميعها للمسجد الحرام.

(12) في سنة 803 هـ شبّ حريق كبير في المسجد الحرام دمر الجانب الغربي منه، وأصاب أيضًا الجانب الشمالي الذي استمرّ الحريق فيه إلى أن أتى على سقوف المسجد وأعمدته الرخامية، ووصل إلى أسطوانتين هدمهما السيل العظيم الذي داهمهما، وأسقط ما عليهما من الأعمدة والسقوف. وحين علم السلطان أبو السّعادات زين الدّين فرج برقوق بذلك قام بإصلاح ما أتلّفه الحريق، وأعاد بناء المسجد الحرام إلى ما كان عليه، دون إضافة أيّ زيادات على مساحته.

(13) في سنة 815 هـ قام قاضي مكّة جمال الدّين محمد بن عبد الله بن ظهيرة بتعمير أجزاء من المسجد وإصلاح سقفه.

(14) في سنة 825 هـ أجرى الأمير زين الدّين برسباني عمارة كبيرة للمسجد الحرام بعد أن أصاب التّلف والتّشقّق جدرانه وأعمدته وأبوابه وسقفه، وقام بتشديد عشرات العقود وتجديد الأبواب والسقوف في مبنى المسجد.

(15) في سنة 882 هـ بنى السلطان قايتبائي سلطان مصر أوّل مدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة، واشترى بعض الدّور المحيطة به، وأقام فيها مجعّةً كبيرًا يشرف على المسجد الحرام والمسعى واشترى مكتبًا ومنارةً.

(16) في الفترة الواقعة ما بين 981 - 984 هـ أجرى **السُّلطان سليم** عمارةً شاملةً للمسجد بعد أن أصاب الخراب بعض أروقته وبرزت رؤوس أخشاب سقوفه، فاستبدلت بالسقوف الخشبيّة القباب التي أقيمت على دعائم قويّة من الحجر وأساطين الرّخام. وقد توفّي السُّلطان سليم قبل إتمام تلك العمارة، فتولّى ابنه السُّلطان مراد خان الرّابع إتمامها. وكانت هذه العمارة بمثابة تجديد كامل للمسجد منذ عمارة الخليفة المهدي العبّاسي التي انتهت عام 164 هـ .

(17) وبسبب تزايد أعداد المسلمين حدثت توسعات للحرم المكي عبر العصور ، حيث اتسعت رقعة العالم الإسلامي لتشمل بلادًا وشعوبًا جديدة في أفريقيا وآسيا، فضلا عن التطور الهائل الذي شهده العصر الحديث في وسائل المواصلات التي اختصرت المسافات وقاربت ما بين البلدان، كل ذلك أدى إلى مضاعفة أعداد حجاج بيت الله الحرام؛ وهو ما أظهر مدى الحاجة إلى توسعة المسجد الحرام لاستيعاب المصلين.

(18) في **عهد الملك سعود** -رحمه الله- تمت توسعة شاملة لبيت الله الحرام وعمارته في ثلاث مراحل شملت إزالة المنشآت السكنية والتجارية التي كانت مجاورة للمسعى، وكذلك إزالة المباني التي كانت قريبة من المروة، وإنشاء طابق علوي للمسعى بارتفاع تسعة أمتار مع إقامة حائط طولي ذي اتجاهين، وتخصيص مسار مزدوج يستخدمه العجزة الذين يستعينون بالكراسي المتحركة في سعيهم مع إقامة حاجز في وسط المسعى يقسمه إلى قسمين لتيسير عملية السعي. كما أنشئ للحرم 16 بابًا في الجهة الشرقية (ناحية المسعى).

كما تمّ إنشاء درج ذي مسارين لكلّ من الصفا والمروة؛ خصّص أحدهما للصعود والآخر للهبوط. كما أنشئ مجرى بعرض خمسة أمتار وارتفاع يتراوح ما بين أربعة وستة أمتار لتحويل مجرى السيّل الذي كان يخترق المسعى ويتسرّب إلى داخل الحرم، كما تم توسعة منطقة المطاف على النّحو الذي هو عليه الآن، كما أقيمت السلالم الحاليّة لبئر زمزم. وكان المطاف بشكله البيضاوي يبدو وكأنّه عنق زجاجة؛ الأمر الذي كان سببًا في تراحم الطّائفين حول الكعبة المشرّفة.

وقد زال هذا الوضع بعد إجراء توسعة المطاف. كذلك جرت وفق هذه التّوسعة إزالة قبة زمزم التي كان يستخدمها المؤدّنون الذين أنشئ لهم مبنى خاص على حدود المطاف إضافة لبعض التطويرات العديدة، وأصبحت مساحة مسطحات المسجد الحرام بعد هذه التوسعة 193000 متر مربع بعد أن كانت 29127 مترًا مربعًا؛ أي بزيادة قدرها 131041 مترًا مربعًا. وأصبح الحرم المكي يتسع لحوالي 400000 مصلٍ، وشملت هذه التوسعة ترميم الكعبة المشرفة وتوسعة المطاف وتجديد **مقام إبراهيم** -عليه السلام-.

(19) في عهد الملك فيصل -رحمه الله- تم الإبقاء على البناء العثماني القديم، وتم عمل تصاميم العمارة الجديدة بأفضل أساليب الدمج التي تحقق الانسجام بين القديم والجديد. وما زال البناء الحالي يجمع بين التراث والمعاصرة.

(20) في عهد خادم الحرمين الشريفين خضع الحرم المكي وفي 13-9-1988م تم وضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة بحيث تتألف من الطابق السفلي (الأقبية) والطابق الأرضي والطابق الأول؛ وقد صمم، وتم بناؤه على أساس تكييف شامل، وعمل محطة للتبريد في أجياد، وروعي في الأقبية تركيب جميع الأمور الضرورية من تمديدات وقنوات، وعُملت فتحات في أعلى الأعمدة المربعة، حيث يتم ضخ الهواء والماء البارد فيها من المحطة المركزية للتكييف في أجياد. ومبنى التوسعة منسجم تمامًا في شكله العام مع مبنى التوسعة الأولى، وقد كُسيَت الأعمدة بالرخام الأبيض الناصع، كما كُسيَت أرضها بالرخام الأبيض، وأما الجدران فكُسيَت من الخارج بالرخام الأسود المموج والحجر الصناعي، وكذلك من الداخل مع تزيينها بزخارف إسلامية جميلة، ويبلغ عدد الأعمدة للطابق الواحد (530) عمودًا دائريًا ومربعًا. وجعل في هذه التوسعة أربعة عشر بابًا؛ فبذلك صارت أبواب المسجد الحرام (112) بابًا، وصنعت الأبواب من أجود أنواع الخشب، وكُسيَت بمعدن مصقول ضبط بحليات نحاسية، وصُنعت النوافذ والشبابيك من الألومنيوم الأصفر المخروط وزينت بمعدن مصقول بحليات نحاسية.

وعمل لهذه التوسعة مبنيان للسلالم الكهربائية في شماله وجنوبه وسُلَّمان داخليان؛ وبذلك يصبح مجموع السلالم الكهربائية في المسجد الحرام تسعة سلالم، هذا عدا السلالم الثابتة الموزعة في أنحاء مبنى المسجد الحرام.

في سنة 1991م أُحدثت ساحات كبيرة محيطة بالمسجد الحرام، وهُيئت للصلاة لا سيما في أوقات الزحام بتبليطها برخام بارد ومقاوم للحرارة، وإنارتها، وفرشها، وتبلغ المساحة الإجمالية لهذه الساحات (88.000) متر مربع.

وفي سنة 1994م تم في المسجد الحرام توسعة منطقة الصفا في الطابق الأول تسهيلًا للساعين؛ وذلك بتضييق دائرة فتحة الصفا الواقعة تحت قبة الصفا.

وفي سنة 1996م تم أيضًا إعادة تهيئة منطقة المروة لغرض القضاء على الزحام في هذا الموقع، حتى صارت مساحة المنطقة (375) مترًا مربعًا بدلا من المساحة السابقة وهي (245) مترًا مربعًا.

وفي سنة 1996م حصلت أيضًا توسعة الممر الداخل من جهة المروة إلى المسعى في الطابق الأول، وأحدثت أبواب جديدة في الطابق الأرضي والأول للدخول والخروج من جهة المروة.

وفي سنة 1997م تم إنشاء جسر الراقوبة الذي يربط سطح المسجد الحرام بمنطقة الراقوبة من جهة المروة، لتسهيل الدخول والخروج إلى سطح المسجد الحرام. ويبلغ طول الجسر 72.5 مترًا، ويتراوح عرضه من عشرة أمتار ونصف إلى أحد عشر مترًا ونصف، وتم تنفيذه وفق أحدث التصاميم الإنشائية، وبما يتناسب مع الشكل الخارجي للمسجد الحرام، كما تم في هذا العام توسعة الممر الملاصق للمسعى الذي يستعمل للطواف بالطابق الأول في أوقات الزحام من منطقة الصفا إلى ما يقابل منتصف المسعى؛ حيث تمت توسعته، فأصبح عرضه تسعة أمتار وعشرين سنتيمترًا، ويبلغ طوله سبعين مترًا.

وفي سنة 1998م تم تجديد غطاء مقام إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- من النحاس المغطى بشرائح الذهب والكريستال والزجاج المزخرف، وتم وضع غطاء من الزجاج البلوري القوي الجميل المقاوم للحرارة والكسر على مقام إبراهيم -عليه السلام-، وشكله مثل القبة نصف الكرة، ووزنه 1.750كجم، وارتفاعه 1.30 م، وقطره من الأسفل 40 سم، وسمكه 20 سم من كل الجهات، وقطره من الخارج من أسفله 80 سم، ومحيط دائرته من أسفله 2.51 م.

ونتيجة توسعات الحرم المكي عبر العصور أصبح مجموع المساحات بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين ثلاثمائة وستة وستين ألفًا ومائة وثمانية وستين مترًا مربعًا (366168) م، وأصبحت طاقة استيعاب المصلين في المسجد الحرام في الظروف العادية بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين أربعمائة وستين ألف (460.000) مُصل، بحيث يبلغ مجموع عدد المصلين في داخل المسجد الحرام والسطوح والمساحات ثمانمائة وعشرين ألف (820.000) مصل. ويمكن في ذروة الزحام استيعاب أكثر من مليون مصل.

حدود الحرم المكي الشريف

يبلغ نصف قطر دائرة الحرم المكي 87552 كم من كل جهة من جهات مكة، ومركز هذه الدائرة الكعبة المشرفة، وقد اختلف المؤرخون في تحديد قدر المسافات التي بين الكعبة وحدود الحرم من كل جهة، ولعل هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف الابتداء من المسجد الحرام إلى تلك الحدود، على أنهم لم يذكروا إلا مسافات الطرق الرئيسية، ونحن نذكر الراجح منها على النحو التالي:

حدوده شمالا من جهة المدينة المنورة تكون عند التنعيم أو مسجد العمرة، وتقدر المسافة بنحو 7 كم.



أما غربًا من جهة جدة فحدود الحرم عند المكان المسمى العلمين أو الحديبية، وتقدر المسافة المسافة بـ 18 كم.

أما شرقًا من جهة نجد فحدوده عند الجعرانة، وتقدر المسافة بـ 14.5 كم تقريبًا.

أما جنوبًا من جهة عرفة فحدوده عند نمرة، والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو 20 كم.